إطلالةٌ تاريخيّة (فكريّةٌ وسياسيّةٌ) على أهمِّ الثّورات السّورية في مواجهةِ الاستعمار الفَرنسي
مقاربةٌ في الأسبابِ والنّتائج والمآلات العمليّة

د. نبيل علي صالح[1]

الملخّص

استُعْمرت سوريا من قبل فرنسا بعد صدور قرار التقسيم الأممي، وكان أوّل دخول لقواتها إلى الساحل السوري في العام ١٩١٨م، قبل دخولها إلى دمشق عام ١٩٢٠م بعد معركة ميسلون الشهيرة.

ومع البدايات الأولى لهذا الاحتلال - المقنّع بشعارات التطوير والتحديث للمجتمع السوري (المتخلّف!) -، برزت وانكشفت إلى العلن حقيقة النوايا الاستعماريّة لفرنسا في الهيمنة والسيطرة، وسرقة موارد البلد، والتحكّم بقراره وتموضعه السياسي في المنطقة التي كانت تتصارع عليها قوى دوليةٌ عديدةٌ من أجل اقتسام إرث الدولة العثمانيّة المنهارة.

ورغم الحشود العسكريّة الفرنسيّة المدجّجة بأحدث السلاح والعتاد، تفجّرت الثورات في كلّ مكانٍ من الأرض السوريّة، ولم يهدأ النضال السياسي والكفاح المسلّح لعموم السوريين حتى بلوغ الحرية، ونيل الاستقلال والتحرّر من ربقة الاحتلال الفرنسي عام ١٩٤٦م. وهذا ما سنستعرضه ونتناوله بشيءٍ من التفصيل التوثيقي والتحليلي في دراستنا هذه.

الكلمات المفتاحيّة: سورية، الثورة، الاحتلال الفرنسي، عصبة الأمم المتحدة.

---

١. كاتب وباحث سوري.

المقدّمة

لم تكدْ قواتُ الاحتلالِ الفرنسي تدخلُ الأراضي السوريّة في العام ١٩٢٠م بعد معركةٍ غير متكافئة - قادَها من جانب السوريين يوسف العظمة وزير الحربيّة في حكومة الملك فيصل- حتى اشتعلتْ ضدّهم الاحتجاجات والثورات الشعبيّة المسلّحة في كلّ أنحاء البلد، رافضةً الاستعمار الجديد، وكلّ ما تعلّق به من مقتضياتٍ وشروط، كأحد نتائج اتفاقيّة سايكس بيكو التي انتزعت البلادَ العربيّة من الرجل المريض العثماني بُعيد نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م، لتقوم بتقسيمها بين المنتصرين في تلك الحرب، وعلى رأسهم فرنسا وبريطانيا؛ فكانت سوريا من نصيب فرنسا التي كان لها – على ما ظهر- مخططٌ متكامل الأبعاد والأركان للهيمنة على سوريا، ونهب خيراتها ومواردها، والتحكّم بقرار أهلها، وإلحاقها ببقية المستعمرات الفرنسيّة.

وقد بدأتْ تلكَ الانتفاضات والثورات السوريّة المسلّحة على هيأة تشكيلاتٍ وتنظيماتٍ شعبيةٍ عفويةٍ قليلة العدد، انطلقت في تحرُّكها الثوري العسكري من منطلقاتٍ وطنيّةٍ بحتة، فلم ترضَ بالهوانِ والذلّ واحتلال أراضي بلدها، والهيمنة على مقدّراته وخيراته، الأمر الذي دفع الثوار لإشعال المواجهات العسكريّة في مختلف القرى والأرياف والمدن السوريّة، معلنين بدء مرحلة الثورة المسلّحة ضدّ قوات الاحتلال الفرنسي، لتتعاظم الثورة وتصل إلى مستوى ثورةٍ سوريةٍ كبرى بدأ تحقيبها الزمني ومسارها التكاملي الحقيقي مع مطلع العام ١٩٢٥م.

فما هي تلك الثورات؟ وأينَ تموضعت؟ وما هي أسبابها الرئيسة المباشرة وغير المباشرة؟ وما النتائج العملية التي ترتّبت عليها؟ هذا ما سنحاول تتبُّعه ورصده في استعراضنا التاريخي الفكري القادم في هذه الدراسة.

المَبْحثُ الأوّل: أسبابُ ودَوافع اندِلاع الثّورات ضدّ الاحتلال الفرنسي على سوريا

لكلّ حدثٍ أسبابه وعلله ودوافعه، فما بالك والحدث ثوراتٌ ضدّ محتلٍّ عدوانيّ غاشم، انقضَّ على بلدٍ بطريقة الوصاية وعقليّة النهب والتمركز والفوقيّة الحضاريّة! وهذا ما رسخته عهود الاستعمار كلّها في منطقتنا العربيّة والإسلاميّة بالذات، مؤكدةً أنّ الغرب – وبعيدًا عن شعارات الإنسانيّة المزيّفة - لا ينظرُ إلى بلداننا إلّا من منظورٍ استعلائيّ مركزي لا علاقة له بأدنى قيم الإنسانيّة ومبادئها وحقوق الإنسان، ولا قيمة لكلّ أفكار التنوير الغربي وقيم حداثة العقل والعلم، فيما يتعلّق بمصالح الغرب ومكاسبه التي يجنيها ويقبض عليها، ولو اقتضى استباحة روح الإنسان وتصفيته والتوحّش ضدّه، وقتله عضويًّا ورمزيًّا!

ففي سوريا - نتيجةً لاتفاقيّةٍ استعماريّةٍ غربيّةٍ بحتة (هي اتفاقيّة سايكس بيكو)[١]، لم يشارك مسؤولو العرب والمسلمين فيها سوى كشهود زور- بدأتْ جحافلُ المُحتلّ الفرنسي بالتّعمق الاحتلالي رويدًا رويدًا في كافة أنحاء الجغرافية السوريّة، وباشرتْ بتنفيذ مخطّطها الرامي للتقسيم والهيمنة، واستباحة الثروات، وكلّه جاء على خلفيّة لافتاتٍ وشعاراتٍ حضاريّةٍ إنسانيّة، ومزاعم تحديثيّةٍ تنويريّة، ومبادئ وصايةٍ انتدابيّةٍ أمميّة!

طبعًا هذا كلّه لم يقنع كثيرًا من أهل البلد، ففي النهاية المحتلّ محتلّ، يسلب، وينهب، ويقتل، ويدمّر، ويسعى فقط في سبيل تأبيد مصالحه الماديّة، ولا يهمّه سوى جيوب مستعمراته، خاصّة وأنّه شكّل وصاغ النظام الأعلى للسياسة والمجتمع في سوريا دون إقامة أيّ اعتبارٍ (ولو كان رمزيًا) لكرامة السوريين أنفسهم (أهل البلد الأصلاء)؛ على الرغم من المحاولات السياسيّة[٢] لكثيرٍ من النخب الوطنيّة السوريّة إجبار سلطة الاحتلال - ممثلةً بالحاكم الفرنسي- على تحديد طبيعة العلاقة بين ما يسمّى سلطة الوصاية الانتدابيّة الفرنسيّة وبين السلطات والمؤسّسات الوطنيّة السوريّة، لكن عبثًا؛ فالمستعمِر لا يفهم بغير لغة السلاح والمواجهة، كونه جاءَ بالسلاح والقوة؛ لذا لنْ يخرج إلّا بهما.

وهكذا اشتعلت الثورات السوريّة، وكانت لها أسبابها ودوافعها الأساسيّة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والميدانيّة، التي تحدثتْ عنها ووثّقتها كثيرٌ من مراجع التاريخ الوطني لسوريا، ويمكن رصدها فيما يأتي:

---

١. هي اتفاقية انعقدتْ (ووقِّعت) بين فرنسا وبريطانيا من أجل اقتسام الدول العربية الواقعة شرقي المتوسّط في إطار تقسيم أراضي (وتركة) الإمبراطورية العثمانية التي كانت توصفُ يومها بـ(الرجل المريض)، (اقتسام مناطق نفوذ وثروات). وتم توقيع الاتفاقية في الثامن شهر أيار عام ١٩١٦م، وذلك على شكل تبادل وثائق بين وزارات خارجيّة كلٍّ من فرنسا وإنجلترا وروسيا القيصرية. (انظر: عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المَشرق العربي: ١٥١٦-١٩٢٢، ص٤٦٨).

٢. وكان على رأس تلك المحاولة تشكيل ما سمّي بـــ(الكتلة الوطنية السورية) في العام ١٩٢٧م، وتألّفت من عددٍ من الرموز والنخب الوطنية السوريّة، وكانتْ أقرب إلى تجمّعٍ أو تنظيمٍ سياسيّ تمحور حولَ مبدأ الضغط السياسي على سلطات الاحتلال الفرنسي للجلاء عن سوريا دون قيدٍ أو شرط، وامتدت فترة عمله حتى ١٧ نيسان عام ١٩٤٦م، الذي شهدَ رحيلَ آخر جندي فرنسي عن سوريا. وشارك في أعمال الكتلة كثيرٌ من الأحزاب والشخصيات المثقفة والسياسية وكبار العائلات السورية التقليدية المعروفة، وتصدّى أعضاؤها للكثير من المعارك السياسية والفكرية في مواجهة سلطات الانتداب الفرنسي، بدأت بمعركة دستور عام ١٩٢٥م، ومن ثم الإضراب الستيني ومفاوضات باريس التي أدّت إلى توقيع معاهدة عام ١٩٣٦م مع الفرنسيين.

أولًا: الهيمنة والاستعباد وسوء المعاملة:

منذ دخول الفرنسيين برزت نوازع الهيمنة والغطرسة لديهم، خاصّة لدى حكامهم الكثر الذين تناوبوا على حكم سوريا[١]. فكانت علاقاتهم سيئةً مع الجميع حتى مع رموز ورؤساء الطوائف وأرباب الشّعائر الدّينية من كلّ المذاهب، فهم كانوا يتدخّلونَ في شؤونهم الدينيّة، ويضطهدون الزعامات المحلّية، ويُشعِرون الجميع بالإذلال والسيطرة[٢]، ويمارسون بحقّهم أسوأ الممارسات والتعاملات وأشنعها وأجلفها من سجنٍ وتعذيبٍ ونفي وفرض غراماتٍ ماليةٍ ضخمة، وتحصيل الضرائب، وكم الأفواه، ونشر ثقافة الرشوة والمحسوبيّة، والتلاعب بالمقدّرات، وذلك من خلال تعيين موظفين فرنسيين برواتب ضخمة، تجاوزوا صلاحياتهم للشؤون العسكريّة والإداريّة والاستشاريّة والأمنيّة، وقيام بعضهم بفرض تقاليد التعظيم لهم، في وسط حكمٍ عرفيّ ومراقبةٍ شديدةٍ واستبدادٍ عسكري أرعن[٣].

ثانيًا: استخدام القوة والسجن والاعتقال وضرب تقاليد المجتمع السوري:

قامت سلطات الاحتلال بممارسة سياسة الاعتقال والنفي، خاصّة للنخب الوطنيّة والثوريّة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، اعتقلت القوات الفرنسيّة أحد رموز المُجاهدين في لبنان (أدهم خنجر) - الذي كان من كبار المجاهدين الذين هاجموا الجنرال الفرنسي (غورو)، وأطلقوا الرصاص عليه[٤]- من منزل سلطان باشا الأطرش[٥]، بما عُدّ انتهاكًا واعتداءً سَافرًا على طبيعة العادات الاجتماعيّة

١. بلغ عدد هؤلاء المندوبين الساميين، خلال عهد الانتداب الممتد من عام ١٩٢٠م، ولغاية عام ١٩٤٦م، اثني عشر مندوبًا، أو حاكمًا عامًّا، أو مفوضًا ساميًا عن الفرنسيين؛ يضاف إليهم الثالث عشر (وهو جان شياب) الذي مات بعد يومين فقط من صدور قرار تعيينه، وذلك قبل أن يصل إلى سوريا، حيث أَسقَطتْ طائرتَه فوق البحر المتوسط طائرةٌ مقاتلةٌ ألمانيةٌ أو إيطاليةٌ بتاريخ ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٠م. وكان نصف هؤلاء الحكّام أو المفوَّضين من العسكريين، والنصف الآخر من المدنيين الذين ينتمون إلى السلك الدبلوماسي أو إلى طبقة موظفي كبار الدولة الفرنسية. ويجدر الذكر بأنّ السلطة في الشرق طُبِّقتْ بشكلٍ مباشرٍ بين العامين ١٩٢٠ و١٩٢٥ من قبل ثلاثة جنرالات من أبطال الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى، المشبعين بروح الإمبريالية الاستعمارية، في أفريقيا، بشكلٍ عام، وشمال أفريقيا، بشكلٍ خاص، وهم الجنرالات (غورو، وفيغان، وساراي) الذين كانت لديهم روحٌ استعماريّة خبيثة متجذّرة. (للمزيد انظر: حكمت علي إسماعيل، نظام الانتداب الفرنسي على سوريا: ١٩٢٠-١٩٢٨/بحث في تاريخ سوريا الحديث من خلال الوثائق).

٢. الهندي، إحسان، كفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨-١٩٤٨، ص١١٣.

٣. سلامة عبيد، الثورة السورية الكبرى، ص٣٨.

٤. انظر: السّفرجلاني، محيي الدين، تاريخ الثورة السورية، ص١٠٩-١١٠.

٥. البعيني، حسن أمين، سلطان باشا الأطرش والثورة السورية الكبرى، ص١١٨ وما بعدها.

والأعراف التاريخيّة العربيّة الأصيلة المعروفة القائمة على حُرمة الضيف وكرامة الإنسان[١]. فباتَ الفرنسيون في مواجهة شعبٍ يحبّ الحريّة والاستقلال ويعشق عزّة النفس، ويعتزّ بتاريخه وتراثه الحضاري المجيد.

ثالثًا: انكشاف حقيقة مبادئ عصبة الأمم المتّحدة:

رُغمَ موافقة عُصبة الأمم المُتحدة على الانتداب الفرنسي[٢]، وعدّه ضَرورةً للتّقدّم والنّهضة، ومنع التقاتل الدّاخلي السّوري بُعيدَ انهيار الدّولة العثمانية، بما ينسجمُ مع (ما زعموا) أنّه مجرد مهمّة دوليّة مؤقّتة تقتصرُ على الإشراف والإرشاد والمساعدة، لكنّ السّوريين عمومًا أعلنوا رفضهم القاطع لهذه الفكرة، خصوصًا لما عَرفه تاريخهم وتاريخ المنطقة ككل من حملاتٍ استعماريّةٍ عليهم قامت باستغلال مقدراتهم وثرواتهم وهيمنتْ على مجالهم الحيوي السياسي وغير السياسي. وهذا ما حَدَثَ في سوريا منذ الأيام الأولى للاحتلال الفرنسي الذي كان ينظر لسوريا كدولةٍ فاشلةٍ وعاجزةٍ عن قيادة نفسها، مع أنّ كلَّ مبادئ حقوق الإنسان التي أقرّت في وقتها حتى لدى مجالسٍ وبرلمانات داخل بلدان كبرى، كانتْ تؤكّدُ على استقلالية البلدان وحقّها في تقرير مصيرها، وعدم عدّها غنائم حرب، وهذا ما كانَ يتناقض مع مبادئ ويلسون الأربعة عشر التي تمَّ إقرارها في الولايات المتحدة الأمريكيّة[٣].

١. سلامة عبيد، الثورةُ السّورية الكبرى في ضوءِ وثائق لم تنشر، م، س، ص١٢ وما بعدها.

٢. جاء في المادة /٢٢/ البند /١٨٤/ عام ١٩١٩م من ميثاق عصبة الأمم ما نصّه: «إن بعض الجماعات التي كانت تابعةً للإمبراطورية العثمانية قد بلغت درجة من التقدم (مع التحفظ) حتى يمكن الاعتراف مبدئيًا بكيانها كأممٍ مستقلةٍ بشرط أنْ توجه إليها الإرشادات والمساعدة من قبل منتدب على إدارة شؤونها إلى الحين الذي تصبح فيه قادرةً على السير بمفردها، وأنّ رغبات هذه الجماعات يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في اختيار المنتدب». (انظر: الموقع الرسمي للأمم المتحدة، ميثاق عصبة الأمم المتحدة عام ١٩١٩م، الرابط:

https://www.ungeneva.org/ar/about/league-of-nations/covenant- تاريخ المشاهدة: ٧ /٣/ ٢٠٢٤م-كما يمكن مراجعة الوثيقة الأصيلة على الرابط:

https://libraryresources.unog.ch/ld.php?content_id=32971179).

٣. وهي مجموعة مبادئ سياسية حقوقية (يبلغ عددها ١٤ مبدأ)، قدّمها رئيس الولايات المتّحدة الأمريكية (وودر ويلسون) عام ١٩١٨م، للكونغرس الأمريكي، وتضمّنت أسس ومبادئ السلم وإعادة بناء أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. (انظر:

Hannigan, Robert E. *(11* Nov *2016).*the great war and American forign policy, *1914-24*. University of Pennsylvania Press. pp. *125–129.*).

رابعًا: اعتمادُ سياسة التقسيم ومحاولات تطبيقها:

رَفَضَ السوريون سياسات التقسيم واللعب على وتر الطوائف والأقليات، حيث انتهجت سلطات الاحتلال الفرنسي سياسة (فرّق تَسُدْ) في كلّ مستعمراتها، وخاصّة في سوريا، فقسّمتْها إلى عدّة دويلاتٍ على أساسٍ طائفيّ مناطقيّ مذهبي[١]، وهي دولة دمشق (عام١٩٢٠م)، دولة حلب (١٩٢٠م)، دولة العلويين (١٩٢٠م)، دولة جبل الدروز (١٩٢١م)، لواء إسكندرون (١٩٢١م)، كما أعطت فرنسا الأقاليم السورية الشمالية لتركيا الأتاتوركية، وذلك بموجب معاهدة أنقرة وترسيم الحدود[٢].

وقد واجهَ الوطنيون والثوار السّوريون هذه السياسة الاستعمارية بحزمٍ وقوةٍ رافضين أيّ شكلٍ من أشكال التقسيم الذي يفصلُ أيّ جزءٍ من سوريا عن باقي الأجزاء. فناضلوا سياسيًا، ثم ساروا في طريق الجهاد والكفاح المسلّح تعبيرًا أساسيًا عن مواجهة التجزئة ورفض سياسات فرنسا في هذا الشأن. وعلى هذه الخلفية رفع سلطان باشا الأطرش شعار الثورة الشهير: (الدين لله والوطن للجميع)، وكانَ هذا الشعار صفعةً في وجه هذا التقسيم الطائفي لسورية، وبالتالي حوّلَ نظامَ الانتداب إلى سلّةٍ من الأشواك يثقل كاهل فرنسا منذ بداية احتلالها للبلد وحتى نهايته[٣]، رغم أنّ سلطات الاحتلال الفرنسي لم تبقَ صامتةً، بل واجهت حركات الثورة المتطلعة للاستقلال بالقوة والبطش والدم، ولكنّه لم يأتِ بنتيجةٍ تُذكَر في ظلّ إصرار الشعب - ومن أمامه الوطنيّون والأحرار والثوّار- على تحقيق الحريّة والاستقلال، واعتزازهم ببلدهم وتراثهم، ورفض سياسات فرنسا القائمة على الهيمنة والوصاية والنهب والعنف الأعمى، فالاستقلال لا يُعطى ولا يُمنح، بل يؤخذ، ويُنتزَع نزعًا!

خامسًا: الحَالة الاقتصاديّة السّيئة للمجتمع السوري في ظلّ الاحتلال الفرنسي:

كانت سوريا تابعةً للدولة العثمانيّة، وتعدّ ولاية من ولاياتها، ولما بدأت تلك الدولة تنحدر

١. للتوسّع والاستزادة حول موضوع التلاعب بالوتر الطائفي، يُراجع: كوثراني، وجيه، بلاد الشام في مطلع القرن العشرين، السكّان والاقتصاد وفلسطين والمشروع الصهيوني: قراءة في وثائق الدبلوماسية الفرنسية، ص١٩ وما بعدها.

٢. وقعت الاتفاقية في العام ١٩٢٠م، بين فرنسا كدولةٍ تحكم وتحتلّ سوريا، بموجب صكّ الانتداب الأممي، وتركيا، وذلك لترسيم الحدود بين تركيا وسوريا، حيث تم الاتفاق على ضم تركيا أراضي سورية (كليكيا العربية) تشمل كلّ أقاليم سوريا الشمالية (مرسين، طرسوس، أضنة، كلس، مرعش، أورفا، بيرة جك، حران، ماردين، نصيبين، جزيرة ابن عمر). (راجع: الحكيم، يوسف، سورية والانتداب الفرنسي، ص٢٩٣).

٣. سلامة عبيد، الثورةُ السّوريّة الكبرى في ضوءِ وثائق لم تنشر، مصدر سابق، ص١١٣.

وتذوي نحو التفكك والانهيار، انعكست هذه الحالة المرضية على كلّ ولاياتها ومنها سوريا، خاصّة على الصعيد الاقتصادي الذي برزت مظاهره على السطح مع بداية الاحتلال الفرنسي لسوريا، حيث فرضت فرنسا النقدَ المعدني والورقي الفرنسي محلّ الليرة الذهبية العثمانيّة والمصريّة[١]، ممّا تسبّبَ بأضرارٍ اقتصاديّةٍ كبيرةٍ على الوضع الاقتصادي للبلد، إضافة إلى أنَّ الديونَ الكبيرة التي كانت تثقل عاهل الدولة العثمانية - التي ترتّبت عليها بعد خروجها منهزمةً من الحرب العالمية الأولى- تم توزيعها على الولايات التي كانت تتبع لها[٢].

ومع دخول القوات الفرنسيّة إلى سوريا، انطلقت سلطاتُ الانتداب لتنفيذ مخطّطها الاقتصادي والسياسي، حيث بدأت بفرض أمر واقع اقتصادي قائمٍ على تغلغل المال والنفوذ والرأسمال الفرنسي إلى كافة مفاصل الاقتصاد السوري، والسماح بالاستثمار فيه؛ كما سيطرتْ على الجهاز المصرفي كاملاً، والبنوك، وربطت بين العملة السوريّة الوليدة والفرنك الفرنسي، ووضعتْ يدَها على الودائع البنكيّة الذهبيّة كاملة، وحوّلتها للبنك المركزي الفرنسي، حيث أسهم ذلك بترميم الاقتصاد الفرنسي الخارج من الحرب العالمية الأولى حديثًا. ولم تَسلم الطرق وشبكة المياه والتنوير الكهربائي الحديث والريجي (الدخان)، والنقل البحري والبترول، واستُثمرت هذه الهيمنة لتحقيق مصلحة المستعمِر الفرنسي، وشركات الاستثمار التابعة له على حساب السوريين جميعًا[٣].

وهكذا، رغم كلّ وعود حكّام فرنسا والمندوبين الساميين لها في سوريا بتحسين الواقع الاقتصادي للناس من خلال تأسيسها لشركاتٍ ومؤسساتٍ، وهياكل إدارة، وتحسين البنى التحتية، وغيرها، بقي الفقر والجوع والظلم سائدًا زمنَ الاحتلال الذي لم يكن مهتمًّا بشيء قدر اهتمامه بمصالح نخبته الاقتصادية الرأسمالية، والتوسعّ في استغلال الموارد السوريّة الهائلة، وشرائها بأبخس الأثمان من التجار والمزارعين كالقطن والقمح والتبغ وغيرها، وفرض الضرائب في كلّ حدبٍ وصوب، وخاصّة منها النسبيّة والمتحوّلة والثابتة، شكّلت بمجملها ما نسبته ٤٠٪ من عوائد

١. سلامة عبيد، الثورة السورية في ضوء وثائق لم تنشر، م، س، ص٥٤. ولمزيد من الاطلاع يمكن مراجعة: كوثراني، وجيه، السلطة والمجتمع والعمل السياسي العربي أواخر العهد العثماني: وسائط السلطة في بلاد الشام، عام ٢٠١٧م.

٢. كمثال بسيط على سوء الحالة الاقتصادية نتيجة الديون فقط، يمكن الإشارة هنا إلى أنّه بلغ مجموع المبالغ المترتبة على قرى ولاية دمشق فقط في العام ١٨٦٣م، ما يربو على ١٨ مليون ليرة تركية. كما تجاوزت في كثيرٍ من الحالات هذه الديون ثمن القرى نفسها، فيما لو طرحت يومها هي والأراضي التابعة لها للبيع. (انظر: ليندا شيلشر، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ص٩٢. الصالح، محمد علي، إدارة الاقتصاد السوري: ١٩١٨-١٩٤٦، ص٥٧ وما بعدها).

٣. المصدر نفسه، ص٥٣ وما بعدها.

الخزينة الفرنسيّة في سوريا[١].

المَبحثُ الثّاني: الثورةُ السّوريّة الكبرى (١٩٢٥-١٩٢٧م)

كانتْ معظمُ المرحلة الزمنيّة الواقعيّة بين عامي ١٩٢٠-١٩٢٥م، مرحلة مماحكاتٍ ونقاشاتٍ سياسيّة بين النخب الوطنيّة السوريّة، وسلطات الاحتلال الفرنسي، ولكن سرعان ما وصلت إلى طرقٍ مسدودة، ففرنسا - القادمة بخاتمٍ أمميّ رسميّ معلن - كانت ترمي إلى تحقيقِ مخطّطٍ سياسي واقتصادي وعسكري كامل في سوريا والمنطقة؛ ولهذا كان الرفض - مع قليلٍ من سياساتِ الاحتواء والتدجين لمطالب الساسة السوريين - هو الاستراتيجيّة السياسية والعملية التي اعتمدتها سلطات الاحتلال الفرنسي.

هذا كلّه زادَ من منسوب يأس السوريين، وإحباطهم من سياسات فرنسا، ومراوغة حكّامهم ومندوبيها الساميين! طوال تلك السنوات الخمس من المماطلات والتسويفات والوعود البرّاقة -الخدّاعة - التي كانوا يطلقونها خاصّةً على صعيد تحديد طبيعة العلاقة السياسية بين مؤسّسات الدولة السوريّة، ومن يمثّلها في ذلك العهد (حزب الاستقلال بقيادة شكري القوتلي وحزب الشعب بقيادة عبد الرحمن الشهبندر)، وبين سلطات الاحتلال الفرنسي، حيث كانت المطالبة السياسيّة وقتها تتمحور وتتركّز على ضرورة وضع سياقٍ سياسي واضحٍ، وجدولٍ زمني محددٍ ومضبوطٍ لرحيل الفرنسيين، وتحقيق استقلال سوريا ووحدة أراضيها. وقدْ دفعت سياسةُ المماطلة الفرنسيّة النخبَ الوطنيّة السوريّة والثوّار من خلفهم للبحث عن بديلٍ سياسي لمفاوضات الوقت الضائع واللا جدوى مع الفرنسيين، بما يجبرهم على الرضوخ للمطالب الشعبيّة الوطنيّة، فكان القرار بخوض حرب الكفاح المسلّح الطويلة.

وهكذا تفّجرت ثورة جبل العرب وثورة الساحل وغيرها من ثورات السوريين. وتم الاتفاق على تسمية سلطان باشا الأطرش قائدًا عامًا للثورة السورية، كما جرى الاتفاق على التوسّع في الثورة، وتصعيد النضال والجهاد حتى تحقيق النصر، ونيل الحقوق والحرية، وإنجاز الاستقلال. لتبدأ بعدها الاحتجاجات والثورات في كلّ مناطق سوريا ومدنها، ولتشتعل الثورات العسكريّة ضدّ المحتل الفرنسي بقيادة عددٍ كبيرٍ من القيادات الوطنيّة السوريّة، من جنوب سوريا إلى شمالها، ومن شرقها إلى غربها في تلاحمٍ وطنيٍ أكّد على وحدة أراضي البلد، ورفض التقسيم والهيمنة، وليتعزز

١. انظر: الصالح، محمد علي، إدارة الاقتصاد السوري زمن الانتداب الفرنسي (١٩١٨-١٩٤٦)، مصدر سابق، ص٦٧ وما بعدها.

هذا التلاحم والوحدة بين القوى الوطنيّة المقاومة للانتداب، التي كانت منقسمةً إلى مجموعتين هما: الاستقلاليون، والشعبيون، وتسمّى الجميع خلالها بـــ (الوطنيين).

أولًا: ثورةُ جبل العرب وحوران (سلطان باشا الأطرش: ١٨٨٨-١٩٨٢م):

قامتْ فرنسا بتقسيم سوريا إلى عدّة دويلات (كلّ واحدةٍ مستقلّة كليًّا عن الأخرى) على أسسٍ طائفيّةٍ وجهويّة، ولكن هذا الفعل الخطير لم يلقَ أيّة استجابةٍ قويّةٍ حقيقيةٍ لدى غالبيّة أبناء المجتمع السوري، وتمَّ رفضه شعبيًّا ورسميًّا، الأمر الذي دفع فرنسا لاحقًا (خلال العام ١٩٢٢م) لإنشاء اتّحادٍ فيدرالي بين ثلاث دويلات (دمشق، وحلب، ودولة العلويين) تحت مسمّى (الاتّحاد السوري)، ولكن حتى هذه اللعبة أو الالتفافة السياسيّة، لم تنل رضا الشعب السوري، فتم إلغاء هذا (الاتّحاد) المزعوم في العام ١٩٢٤م.

ونتيجةً لإصرار الفرنسيين على سياساتهم التقسيميّة وتلاعبهم بخيرات البلد، وإصرارهم على تنفيذ مخطّطاتهم لزرع الفتن الطائفيّة بين أبناء الوطن الواحد، ورفض أيّ حلٍّ سياسي ينهي وجودهم، ويعيدُ الاستقلالَ والحرية للبلد وأهله، ويُحرّر ثرواته واقتصاده، بدأتْ معالمُ الكفاح المسلّح بالظهور، بعد حوالي عدّة سنواتٍ من محاولة النخب الوطنية السوريّة - وعلى رأسها عبد الرحمن الشهبندر (زعيم حزب الشعب) - تحقيق المطالب الثوريّة بالطرق السياسيّة القانونيّة، حيث اشتعلت ثورة (جبل العرب) بعدما أُرسل وفد درزي في عام ١٩٢٥م، وذلك للمطالبة بتعيين حاكمٍ محلي درزي بدلًا من الحاكم الفرنسي للمناطق السوريّة، وهو ما رفضه الجانب الفرنسي، وقام بطرد الوفد الدرزي، الأمر الذي أفضى إلى بدء انطلاقة واشتعال الثورة في جبل العرب، حيث دعا سلطان باشا الأطرش إلى عقد اجتماعٍ من السياسيين والمواطنين في مدينة السويداء، وتواصل مع الزعماء السياسيين في مدينة دمشق كعبد الرحمن الشهبندر، ليتم الاتفاق بين الجميع على طرد قوات الاستعمار الفرنسي من سوريا من خلال الكفاح والعمل المسلح. كما وتواصل عبد الرحمن الشهبندر مع النخب والزعامات الوطنية المحلية في كافة أنحاء سوريا، من أجل دفعهم وحثّهم على المشاركة في الثورة بهدف التخلّص من الاستعمار الفرنسي، والعمل على تشتيت تواجد قوات الاحتلال الفرنسي في مختلف أنحاء الجغرافيا السوريّة من أجل إضعاف قوته[1].

إذًا، لبّى سلطان باشا الأطرش نداء الجهاد الوطني ضدّ المحتل قائدًا للثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م، التي كانت تحظى بإجماعٍ وطني كبير، ليخوض مع جمهرةٍ من الثوّار الكثير من

١. السّفرجلاني، محيي الدين، تاريخ الثورة السوريّة، مصدر سابق، ص١٢٥ وما بعدها.

المعارك الحربية ضدّ قوات الاحتلال الفرنسي، انتصر في بعضها وخسر بعضها الآخر. وكانت من المطالب الأساسيّة لثورة جبل العرب:

ـ خروج القوات الفرنسيّة.

ـ تشكيل جيشٍ وطني سوري.

ـ تعزيز الحريّة والمساواة بين جميع الأفراد والمواطنين دون تمييزٍ في إطار الدولة السوريّة المستقلّة.

ولكن فرنسا رفضت كلّ تلك البنود والمطالب الاستقلاليّة لثوار الجبل، مؤكّدة على استمرار احتلالها لسوريا.

وقبل تاريخ (١٩٢٥م)، هبّ سلطان الأطرش مع مجموعةٍ من الفرسان لنجدة (وزير الحربية) يوسف العظمة في موقعة ميسلون عام ١٩٢٠م، ولكن المعركة كانت قد حسمت سريعًا لصالح القوات الفرنسيّة المدجّجة بالعتيد والعتاد، ويومها قال سلطان باشا الأطرش: «إنّها خسارة معركة فقط، وهي لا تعني الاستسلام للمحتلين». ولذلكَ أرسلَ رسولاً خاصًا (هو الشهيد حمد البربور) إلى الملك فيصل ليقنعه بالمجيء إلى جبل العرب ومتابعة المقاومة، لكن الملك فيصل رأى أنّ الفرصة قد فاتت بعد أنْ صعد إلى ظهر الطرّاد البريطاني في طريقه إلى منفاه[١].

أصدرَ سلطان باشا الأطرش بيان الثورة التاريخي المعروف، الذي بدأه بشعار (الدين لله، والوطن للجميع)، ونادى فيه العرب بقوله: (إلى السلاح إلى السلاح أيّها العرب السوريون)، وطالب فيه بوحدة البلاد وتعيين حكومةٍ شعبيّةٍ تجري انتخابات مجلس تأسيسي لوضع قانونٍ أساسي، يقوم على مبدأ سيادة الأمة المطلقة، والقانون والعدل والحرية والمساواة. ولاقت هذه الدعوة استجابةً عارمةً في البلاد.

وفي آب ١٩٢٥ نظّمت القوات الفرنسية حملةً عسكريةً مجهّزةً بأحدث العتاد المتوافر وقتها من طائراتٍ ودباباتٍ ومدافع ثقيلةٍ ورشاشاتٍ من أجل مواجهة الثوّار، وقتل الثورة السوريّة الكبرى في مهدها، ولكن الكلمة كانت يومها للثوّار الذين تصدوا بكلّ قوةٍ لتلك الحملة في معركة المزرعة

١. انظر: الأطرش، سلطان باشا، الموسوعة العربية، الرابط:

http://arab-ency.com.sy/ency/details/872/2 ، تاريخ المشاهدة: 9 /3/ 2024م.

قرب مدينة السويداء[١]، وتمكّنوا يومها من سَحق الحملة وإبادتها كلّها عن بكرة أبيها. ليفرّ قائدها (الجنرال ميشو)، وكانت معركة المزرعة من أهمّ وأعظم المعارك في تاريخ الثورة السورية[٢]. ثم توالت المعارك فكانت وقعة المسيفرة والسويداء ورساس وعرى وأم الرمّان وغيرها، ممّا جعل الفرنسيين يشدّدون الحصار على الثوّار ممّا اضطرّهم للنزوح إلى الأزرق في إمارة شرقي الأردن، ثم نزح سلطان ورجاله إلى وادي السرحان والنبك في الحجاز على أمل العودة إلى الوطن في وقت قريب[٣].

وقد تزامنت ثورة منطقة جبل العرب مع ثورة منطقة حوران، (وهما منطقتان في جنوب سوريا متاخمتان جغرافيًا)، وكانت بقيادة الشيخ اسماعيل باشا الحريري، والشيخ زعل الرفاعي. حيث تأجّجت الروح الوطنيّة الثوريّة في نفوس أهالي حوران، وتجهّزوا بالسلاح الذي غنموه من مواجهاتهم مع أفراد الجيش التركي خلال انسحابه من البلاد العربيّة لمواجهة المحتل الفرنسي الجديد[٤]. فانطلقت المعارك العسكريّة ضدّ القوات الفرنسيّة بعد التنسيق الكامل مع قائد الثورة سلطان باشا الأطرش.

والجدير ذكره هنا أنّ سلطان باشا الأطرش حاول الاستعانة (وهو في موقع قيادة الثورة السوريّة الكبرى)، بكثيرٍ من حكّام العرب من رؤساء وملوك وأمراء، حيث بعث - على سبيل المثال لا الحصر- رسله إلى كلٍّ من الملك عبد العزيز آل سعود، والملك فيصل الأول، ورئيس وزراء مصر، وإلى فلسطين إيمانًا منه بوحدة الكفاح العربي ووحدة الهدف، ولكن اتفاق الحلفاء الأوربيين، وضعف المقاومة العربية أدّيا إلى وقف القتال[٥].

ولم يطل الوقتُ كثيرًا حتى عادَ سلطان باشا الأطرش (مع رفاقه) إلى سوريا في العام ١٩٣٧م، بعد إبرام المعاهدة السوريّة الفرنسيّة في العام ١٩٣٦م، بعدما قضى عدّة سنواتٍ في المنفى.

١. أشار أحد رجالات الانتداب إلى هذه المعركة، وهو ستيفن هامسلي لونغريغ (بريطاني زار المنطقة بين عامي ١٩٢٥-١٩٥٠)، حيث تحدّث عن نجاح الثوّار في معركة وتحقيقهم للانتصار، معترفًا باشتعال الثورة في كلّ أنحاء سوريا، وامتدادها إلى بعض لبنان. (انظر: ستيفن هامسلي لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ص١٩٩-٢٠٠).

٢. انظر: الشهبندر، عبد الرحمن، ثورة سوريا الكبرى: أسرارها وعواملها ونتائجها (مذكّرات)، ص٦٤. وانظر أيضًا: البعيني، حسن أمين، سلطان باشا الأطرش والثورة السورية الكبرى، مصدر سابق، ص١٥٨ وما بعدها، بتصرّف.

٣. انظر: السّفرجلاني، محيي الدين، تاريخ الثورة السورية، مصدر سابق، ص١٠٩ وما بعدها.

٤. انظر: البعيني، حسن أمين، سلطان باشا الأطرش والثورة السوريّة الكبرى، مصدر سابق، ص٢٣٨-٢٤٣.

٥. المصدر نفسه، ص٤٦٧ وما بعدها.

ثانيًا: ثورة السَّاحل (الشّيخ صالح العلي: ١٨٨٥-١٩٥٠):

صَالح العَلي هو الثائر المجاهد وأحد قادة الثورة السوريّة الكبرى وأعمدتها الأساسيّة في منطقة الساحل السوري (طرطوس واللاذقية)، وهي ثورةٌ مسلحة، كانت جزءًا من عموم الثورات السوريّة الكبرى التي اندلعت ضدّ الفرنسيين، وانطلقت بُعيدَ الدّخول الفرنسي إلى سوريا عبر البحر في العام ١٩١٨م، أي قبل دخول قوات فرنسا بريًا إلى سوريا عام ١٩٢٠م.

كانَ هذا المجاهدُ من رجالات المنطقة التاريخيين، قبل احتلال فرنسا لسورية، وقد سبقَ له أنْ رفضَ الاحتلال العثماني، وخاض ضدّه معارك عديدةً ولسنواتٍ عديدة. ولكن بعدَ دخول فرنسا إلى سوريا واحتلال أراضيها انحازَ إلى شعبه وقيمه التاريخيّة الأصيلة، فأعلنَ الثورة والكفاح المسلّح ضدّ القوات الفرنسيّة في منطقة الشيخ بدر، وعموم منطقة الساحل السوري. وقد هاجمته القوات الفرنسيّة التي تحرّكت من بلدة القدموس، لكنه انقض عليها برجاله وهزمها، وفي الثاني من شباط ١٩١٩، كرّر الفرنسيّون هجومهم على مقرّ الثورة، فكانت معركة الشيخ بدر، حيث هزم الفرنسيّون واستولى الثوّار على كمياتٍ من الأسلحة والعتاد، ثمّ تتالت المعارك؛ ومنها معركة (مخفر بابنا) (شرقي اللاّذقية في ١٦ نيسان ١٩١٩)، وكانت معركةً مهمةً لثوّار صالح العلي، خسر الفرنسيون فيها (١٥) جنديًا وضابطين. فقامت القوات الفرنسيّة بعدها بإحراق ٦٠ شخصًا من سكّان قرية بابنا وهم أحياء.

ثم كانت معركة قرية سلمى ومعركة قرية ترتياح[١]. وبعد وساطة الجنرال اللنبي، عُقد صلح مع الفرنسيين شريطة جلاء القوات الفرنسيّة عن الساحل السوري، وإلحاقه بالدولة السوريّة، لكن فرنسا نكثت بهذا الصلح، وتجدد القتال من ثمّة فكانت معركة (وادي ورور) في حزيران عام ١٩١٩م، وتُعدّ من أكبر معارك مدن الساحل، حيث شارك فيها أكثر من ألفي مقاتل، وانتهت بسقوط ٨٠٠ قتيل من الجيش الفرنسي مُقابل عشرات الشهداء من الثوار، ثمّ معركة قلعة المريقب في ٢١ تموز ١٩١٩، الّتي انتهت بسقوط ستة قتلى فرنسيّين، وإصابة ٢٢ منهم بجراح بليغة، وبعد اشتداد الهجمات الفرنسيّة، وحرق عشرات القرى المساندة للشيخ والثوار، نقل الشيخ قيادته ومعاركه إلى شمال الجبل، وتحديدًا إلى بلدة بشراغي[٢].

---

١. لم يكتفِ الشيخ صالح العلي بالثورة على الفرنسيين في منطقته، بل هاجم قوّاتهم في كلّ مناطق وقرى الساحل السوري وصولاً إلى الحدود مع تركيا، (راجع: الحكيم، يوسف، سوريا والانتداب الفرنسي، مصدر سابق، ص٦٣ وما بعدها).

٢. راجع: أحمد هوّاش، الشيخ صالح العلي، الموسوعة العربية، الرابط:

https://arab-ency.com.sy/ency/details/5682/13 - 10 /3/ 2024م .تمت المشاهدة:

طبعًا أنباء هذه المعارك الناجحة التي شاعت في المنطقة كلّها وتجاوزت الحدود، وصلت لكلّ قيادات الثورة السوريّة، ومنهم الزعيم الوطني السوري (إبراهيم هنانو) الذي استقبلَ رسولَ الشيخ بالحفاوة والترحيب، وأظْهرَ له كلّ استعداد للمساعدة بالمال والسلاح، وأرسل معه أربعة ضبّاط كان لهم أثرٌ ملحوظٌ في إدارة العمليات الحربيّة التي دارت بعدئذٍ[١].

«لقد كان للشيخ صالح العلي حضورٌ ثوريّ لافتٌ ونوعي في المعارك التي خيضت ضد الاحتلال الفرنسي في منطقة الساحل. فها هو جميل ماميش (الضابط الذي أرسله الملك فيصل للانخراط في الفوج الملكي الذي نظمه المرحوم عزيز هارون في اللاذقية) يكتب ما يلي بحقّ الشيخ صالح العلي بعدما رافقه لسنوات: «لقد تأكّدَ لي بعد الاطلاع والتجربة والبرهان، أنَّ الشيخ صالح العلي (قائد الثورة العَلَويّة)، رجلٌ عظيم، وعظيم جدًا. وأنّ قيادته الحكيمة للثورة (ضد الفرنسيين)، كانتْ مستوحاةً من إيمانه، ومن خبرته العسكرية التي كانت تدهشنا نحنُ الضباط النظاميين.. وقد أظهرَ في جميع المواقع تفهمًا صحيحًا لوضعية المعارك الفنية، واستنتاجاتها. وأنّه خبيرٌ بالوقت الذي يجب فيه الكرّ والفر، والتقدّم والتأخّر، والالتفاف والهجوم... وكانَ يرسمُ لنا الخططَ الحربيّة، ثم يدعونا للتناقش فيها، وإقرارها. ويرسم لكلٍّ منا الخطّة التي يجب عليه اتباعها وقت الهجوم، وقبله وبعده. وإذا صدفَ واختلفنا معًا في تخطيط بعض المعارك، فإنّه كان يصرّ على رأيه، ثم تأتي النتائج فتثبت أنّه كان على صواب، وأنّنا على خطأ»[٢].

استمرّت ثورة الشيخ العلي لثلاث سنواتٍ ونصف السنة، وتم دعمها من الحكومة الوطنيّة بدمشق بقيادة الملك فيصل ووزير الدفاع الشهيد يوسف العظمة، ومن دعم ومعونات الداخل السوري والمهجر في الأمريكيتين، كما استفادت من تناقض القوى الاستعمارية (الفرنسيّة، والتركيّة، والإنكليزيّة)، وصراعها على سوريا[٣].

انتهت ثورة الشيخ صالح العلي بعد انفضاض الناس عنه نتيجة معاناتهم الشديدة من قوات الاحتلال الفرنسي، وقيامهم بإحراق القرى والمناطق الموالية للشيخ صالح العلي، مع ضربها

١. انظر: الحكيم، يوسف، سوريا والانتداب الفرنسي، مصدر سابق، ص٦٤.

٢. عبد اللطيف يونس، ثورة الشيخ صالح العلي، ص٤-٥ وما بعدهما

٣. راجع: بعض ممّا جرى بين سنة ١٩١٨ و١٩٤٣ في الجبل والسّاحل السوري، موقع أسرة الشيخ صالح العلي على شبكة الانترنت، الرابط:

https://web.archive.org/web/20200108192640/http://salehalali.com/?p=908 – 10 /3/ 2024م .تاريخ المشاهدة:

بقذائف الطيران والمدفعيّة، وحرق بيادر المحاصيل الزراعيّة، ورمي المواطنين ممن يُشكُّ بدعمهم أو انخراطهم بالثورة أحياء من أعلى البرج الأبيض في صافيتا[١].

أصدرت قوّات الاحتلال الفرنسي حكمها بإعدام الشيخ صالح العلي، ومن ثم حصلت تسويةٌ سياسيّةٌ تمحورت حول إصدار عفو عن الشيخ بعد تسليم نفسه... وفعلاً سلّم الشيخ العلي نفسه إلى مقرّ الحاكم العسكري باللاذقيّة في شهر حزيران عام ١٩٢٢م، وتمّ وضعه في الإقامة الجبريّة في دارته بقرية الشيخ بدر.

ولاحقًا بعدَ انتهاء مرحلة الثورة المسلّحة، وبدء مرحلة النضال السياسي، حاولت قيادة الاحتلال الفرنسي استمالة الشيخ صالح العلي لجانبها من خلال تقديم عدّة عروضٍ مغريةٍ سياسيةٍ واقتصادية، وعلى رأسها عرض إقامة دولة أقليّة خاصّة بالعلويين، ولكن الشيخ رفض رفضًا قاطعًا، ووقّع -مع شخصياتٍ كثيرةٍ من الجبل- الوثيقة الداعية إلى ضمّ الجبل العلوي إلى سوريا الداخلية. ومن ثم قامت بعدها سلطات الاحتلال الفرنسي بترغيب أخيه الأصغر سنًا الشيخ محمود لتجعل منه بديلاً سياسيًا عن الشيخ إلاّ أنّه رفض ذلك، وعلى أثر ذلك تمّ تعريضه للتعذيب، وخرج جرّاء ذلك يعاني أشدّ المعاناة من الناحيتين الجسدية والنفسي، لازمتاه حتى وفاته[٢].

وهكذا استمرَّ الشيخ صالح العلي رافضًا لأيّ تقسيمٍ جغرافي أو سياسي لسوريا، كما استمرّ رفضه لاستلام أيّ منصبٍ سياسي رفيع، إذ إنّه وبعيد الحديث السياسي عن الاستقلال في بداية الأربعينات (١٩٤٣)، عُرض على الشيخ موقع وزاري في أول حكومة سورية لاختيار الوزارة، لكنّه رفضَ العرض المقدَّم؛ لعدم قناعته بذلك، لينطلق في نشاطه السياسي من خارج الحكومة. وبعد جلاء آخر جندي من الحامية الفرنسيّة الأخيرة من اللاذقية، ألقى الشيخ العلي خطاب الجلاء في دمشق.

ثالثًا: ثورة دمشق (عبد الرحمن الشّهبندر):

عبد الرحمن الشهبندر أحد الزعامات الوطنية المهمة في التاريخ السياسي لسوري، لمع نجمه السياسي في بدايات القرن العشرين، وخلال بدايات الاحتلال الفرنسي لسوريا. وكان يملك

١. الجندي، أدهم، تاريخ الثورات السوريّة في عهد الانتداب الفرنسي، ص٢١٤.

٢. عبد الطيف يونس، ثورة الشيخ صالح العلي، مصدر سابق، ص٢٩ وما بعدها.

شخصيةً وطنيةً شديدة التعلّق بوطنها ودفاعها عنه[١].

أسّس حزبًا سياسيًا مناوئًا للاحتلال في العام ١٩٢٥م، وانتخب رئيسًا له، ونادى الحزب في مبادئه التأسيسية باستقلال سوريا بحدودها الطبيعية، وانضمامها إلى عصبة الأمم، مع وضع دستورٍ مدني، وانتخاب مجلس نوّاب يمثّلُ مطالب الشعب السوري في الاستقلال والحرية والسيادة على حدوده ومقدراته وقراره الوطني الحر.

دخلَ عبدُ الرحمن الشهبندر وحزبه الوطني في مفاوضاتٍ ونقاشاتٍ سياسيةٍ مباشرةٍ مع قادة سلطات الانتداب الفرنسي، وذلك من أجل ضبط وتحديد العلاقة مع سلطات الاحتلال بما يؤدّي لاحقًا لإنهاء الاحتلال وتبعاته، وإعادة السيادة والسلطة للشعب. ولكنه – وهو السياسي البارع والمناضل الثوري- توصلَ إلى نتيجة وقرار نهائي بأنّ الفرنسيين لن يرحلوا سياسيًا عبر آلية التفاوض. خصوصًا مع التصعيد الفرنسي ضد حزبه (حزب الشعب)، مع صدور قرار بحلّه، ردًا على بيان الشهبندر المشهور الخاص بتأييد الثورة السوريّة الكبرى التي اندلعت في تموز ١٩٢٥م، وكان له يدٌ كبرى فيها. حيث توجّه الشهبندر إلى معقل الثورة في جبل العرب لحمل السلاح مع قائدها العام سلطان باشا الأطرش، وشاركه في صياغة كلّ البيانات العسكرية[٢]. عمل جاهدًا على نقل الثورة إلى دمشق والغوطة، وبالتعاون مع الشيخ محمد الأشمر وحسن الخراط، خطط لعملية في وسط (سوق البزورية)، كان من المفترض أن تؤدّي إمّا إلى اعتقال أو تصفية المندوب السامي موريس ساراي. فردت فرنسا بقصف دمشق في تشرين أول ١٩٢٥م، الأمر الذي أدى لدمار وخراب كبيرين في كل من سوق البزورية وسوق الحميدية، وأجزاء كبيرة من قصر العظم وحي الجزماتية في منطقة الميدان بدمشق. وحكمت فرنسا على الشهبندر بالإعدام فهربَ إلى مصر، وبقيَ فيها حتى العام ١٩٣٧م، حيث صدَرَ عفوٌ عنه بعد أشهر من وصول الكتلة الوطنيّة إلى موقع قيادة الرئاسة

١. تذكر المراجع التاريخية أنه خلال اجتماع مجلس الوزراء مع الملك فيصل، لمناقشة إنذار الجنرال غورو الذي طالب بتسليم دمشق، وقبول الانتداب الفرنسي، وتسريح الجيش السوري، والموافقة على احتلال القوات الفرنسية لمحطات سكك الحديد في رياق وحمص وحلب وحماة، جرى النقاش التالي بين الملك فيصل وعبد الرحمن الشهبندر.

-قال الملك فيصل الأول ملك سوريا: «أنا أقول لك يا شهبندر أنا ابن رسول الله، وسأوافق على شروط الجنرال غورو والقيادة الفرنسية».

-الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وزير الخارجية: «وأنا أقول لك.. أنا ابن هذا البلد... ولن أوافق على تسليمها لا لغورو ولا لغيره». (أنظر: السفرجلاني، محي الدين، تاريخ الثورة السورية، مصدر سابق، ص٧٩ وما بعدها).

٢. الحكيم، حسن، عبد الرحمن الشهبندر، حياته وعصره، ص١٧-١٨.

في سورية[١].

رابعًا: ثورة ريف دمشق /الغوطة (حسن الخراط: ١٨٦١-١٩٢٥م):

عند تفجُّر الثورة السوريّة الكبرى في العام ١٩٢٥م، سرعانَ ما انضمّ إليها المجاهد حسن الخرّاط، وأصبح من كبار قياداتها في دمشق والغوطة.

بدأ الخرّاط حياته الثورية بدعمه للثورة السوريّة ووقوفه مع كلّ مواقعها من خلال قيامه بكثيرٍ من المهام البطولية التي كُلّف بها. ولاحقًا بدأ - مع رفاقه الثوّار- بتنفيذ وشنّ هجماتٍ ليليةٍ ضدّ قوات الاحتلال الفرنسي في الغوطة، وضمن دمشق التي دخلتها في ١٨ تشرين الثاني من عام ١٩٢٥م، مجموعةٌ مكوّنةٌ من مائتي مقاتلٍ تحت قيادته بهدف مهاجمة قصر العظم وسوق البزورية واعتقال (أو تصفية) المندوب السامي الفرنسي (موريس ساراي)، وكانت العملية مخطّطةً ومنسّقةً بشكلٍ كاملٍ مع الزعيم عبد الرحمن الشهبندر، والقائد العسكري رمضان باشا شلاش (من جبل العرب)، لكن العملية لم تنجح للأسف، بعد تعرُّض الخَرّاط ورجاله لكمينٍ محكم[٢].

وتبيّن لهم بعد ذلك أنّ المندوب السامي الفرنسي (ساراي) كان غير موجودٍ في دمشق. وهكذا تمّت محاصرة الثوّار داخل قصر العظم، وضمن حارات دمشق القديمة، ليبدأ قصف المنطقة كلّها بسلاح المدفعيّة الفرنسيّة التي دمرّت أحياءً وأسواقًا بكاملها. وبعد هذه المعركة (معركة دمشق) بشهرين استشهد حسن الخرّاط خلال معركةٍ أخرى جديدةٍ في بستان الذهبي خاضها ضدّ قوّات الاحتلال الفرنسي[٣].

وكان لعبد الرحمن الشهبندر (أحد قادة الثورة السوريّة وزعاماتها السياسيّة والعسكريّة) رأيٌ وانطباعٌ مهمٌ عن المجاهد حسن الخرّاط، أكّد فيه على أنَّ هذا المجاهد البطل صَرَفَ شطرًا من حياته حارسًا في الأسواق وناطورًا في البساتين. «ولا شك أنّ الباعث الأكبر الذي بعثه على الالتحاق بالثورة هو الوطنية الصحيحة. وقد حضر معارك متعددةً امتازَ في جميعها، منها معركة الزور الأولى والثانية. وكانَ قد كلّف بمهاجمة الشاغور وضَرْب مخفر الشّيخ حسن. واشتهر عنه أنّه لم يقعد في متراس ولا احتمى بشجرة، بل كان يحارب الأعداء واقفًا على أبعاد قد لا تتجاوز مئة متر. فقد ذكر

١. فيليب خوري، سوريا والانتداب الفرنسي، (باللغة الإنجليزية)، جامعة برنستون، الولايات المتّحدة الأمريكيّة/ ولاية نيوجرسي، عام ١٩٨٧م، ص١٤٦.

٢. فيليب خوري، سوريا والانتداب الفرنسي، مصدر سابق، ص١٧٦.

٣. العجلاني، شمس الدين، وجوه وكلام من بلاد الشام (١٩٢٠-١٩٦٦) م، ص٢٧٧.

لي أحدٌ من رآه في معركة الزور أنّه كان يصيح في وجه الأعداء وينادي: لا تفتشوا عني في بيوت الشّام، بل أمام استحكاماتكم. أنا حسن الخرّاط»[١].

خامسًا: ثورة حماة (فوزي القاوقجي: ١٨٩٠-١٩٧٧م):

وهو مناضلٌ سوري ولد في طرابلس (لبنان)، وشارك في معركة ميسلون عام ١٩٢٠م، أبلى خلالها بلاءً حسنًا، ثم شاركَ في ثورة جبل العرب بقيادة سلطان باشا الأطرش. وفي العام ١٩٢٥م كانَ من روّاد ومجاهدي الثورة السوريّة الكبرى في مدينة حماة، واستمرّ في معاركه ضدّ قوّات الاحتلال الفرنسي لثلاث سنوات، تكبّدَتْ خلالها تلك القوات الكثير من الخسائر الفادحة[٢].

ولاحقًا أرسلتْ فرنسا تعزيزاتٍ كبيرةٍ من مدافع وطائراتٍ وجندٍ لمواجهة ثورة حماة والقبض على قائدها (القاوقجي)، واستمرت المعاركُ مع الثوار بقيادة القاوقجي لغاية ٧ تشرين الأول ١٩٢٥م، وكان من نتائجها استشهاد ٣٣٤ من المجاهدين، مع إصدار حُكم الإعدام على القاوقجي الذي سرعان ما فرّ هاربًا إلى تركيا ومنها إلى السعودية[٣]. ثم انتقل منها إلى عدّة بلدان منها العراق حيث كلّفَ بتأهيلِ الجيش العراقي، ثمّ أصبحَ قائدَ جيش الإنقاذ من المتطوّعين العرب عام ١٩٤٧م[٤].

سادسًا: ثورة إدلب (إبراهيم هنانو: ١٨٦٩-١٩٣٥م):

عندما وصلت تركيا العثمانية إلى مرحلة الانهيار والتفكك، وحاولت كلّ القوى الدولية آنذاك -وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا- السيطرة على تَرِكَتِها ومناطق نفوذها، كانت سوريا الخاضعة للسيطرة العثمانية من نصيب فرنسا التي استحصلت على صك الانتداب عليها من عصبة الأمم المتحدة. ولكن ما أن بدأت جحافل الجيش الفرنسي بالدخول للأراضي السوريّة (سواء من البحر عام ١٩١٨م، أو من البر عام ١٩٢٠م) حتى أشعلها الثوار نارًا ودماءً ضدّه في كلّ أرجاء البلد.

ووصلت الثورة إلى محافظة إدلب ونواحيها، حيث اجتمعَ الثوارُ تحت قيادة الزعيم الوطني إبراهيم هنانو في أيلول عام ١٩٢٠م، وقرروا بدء التحرّك الثوري المسلّح من خلال أول عملية مسلّحة قاموا بها ضدّ الحاميّة الفرنسيّة في منطقة حارم غربي إدلب. ولكن العملية فشلت رغم مقتل

١. الشهبندر، عبد الرحمن، ثورة سوريا الكبرى (أسرارها وعوامها ونتائجها)، مصدر سابق، ص٩١-٩٢.

٢. ليلى بارسونز، القائد: فوزي القاوقجي والنضال من أجل الاستقلال العربي (باللغة الإنكليزية)، ص٣-٤.

٣. فيليب خوري، سوريا والانتداب الفرنسي، مصدر سابق، ص١٧١-٢٠٣.

٤. العطري، عبد الغني، حديث العبقريات، ص٣٥.

قائد الحامية الفرنسي بسبب الخيانة؛ ممّا اضطر هنانو للفرار باتجاه تركيا التي قرّرت قيادتها دعمه ومدّه بالسلاح والمقاتلين، وبالفعل بدأت العمليات المسلّحة بقيادة هنانو تُحدث فوارق تغييرات كبيرة على الأرض بعد الدعم العسكري التركي، الأمر الذي جعل الفرنسيين يشعرون بشدّة تأثيرها وخطورتها عليهم وعلى مستقبل وجودهم في تلك المنطقة من سوريا، وأنّهم فعليًا يواجهون قوّةً مسلحةً منضبطةً ومنظمّةً ومسلحةً تسليحًا جيدًا، وكانت المساعدات ترد للثوّار أيضًا من خلال الموارد المتاحة محليًا[١].

لكن حدثَ تحولٌ نوعي أثّر سلبًا على الحركة الثوريّة في إدلب، حيث قام قائد القوات التركيّة العاملة تحت جناح إبراهيم هنانو بمهاجمة قرية السّقيلبية (المسيحية) بالقنابل، ثم أعطى أوامره بنهبها، وهذا ما استغلته فرنسا للإساءة إلى الثوار، فقرّرَ أحد قادة هنانو بإعدام قائد القوات التركية دون التفكير بعواقب الأمور، وعلى رأسها تغيّر الموقف التركي الرسمي من عموم القضيّة الثوريّة السوريّة وقتها، وهذا ما جرى للأسف، حيث انقلبَ الأتراك من داعمين للثوار في إدلب إلى مساعدين وداعمين للقوات الفرنسيّة. فامتنعوا عن تقديم السّلاح (أو حتى بيعه) للثوّار، وتوافدت الحاميات الفرنسيّة المنتشرة في (كيليكيا، والإسكندرون) لدعم قوات الجيش الفرنسي في قمع الثورة بحلب وريفها، حتّى جرى اعتقال هنانو في ١٣ آب عام ١٩٢١م، ولكن خرج بريئًا من التّهم المنسوبة إليه بعد مرافعة مشهورة للمحامي (فتح الله الصّقال)، ليخرجَ بعدَها هنانو من السّجن في ظلّ القضاء الفرنسي، مواصلاً نضاله السّياسي ضدّ الانتداب الفرنسي حتى وفاته عام ١٩٣٥ في منطقة كفر تخاريم بمحافظة إدلب[٢].

سابعًا: ثورةُ دير الزور (عائلة عياش الحاج):

اشتعلت الثورةُ ضدّ القوّات الفرنسيّة في شمال شرقي سورية منذ البدايات الأولى لدخولها البلاد؛ وجرى التنسيق العملي بين نخب الثورة في دير الزور والقيادات الثوريّة في دمشق، لبدء التحرّك الثوري في منطقة الفرات كلّها، وذلك من أجل فتح جبهةٍ جديدةٍ تستنزف الفرنسيين وتشتّت قواهم. وقد كان للمجاهد (عيّاش الحاج) الدور الحيوي الأهم والأبرز في ثورة دير الزور على صعيد التحريض، وإثارة العواطف الوطنية ضدّ الاحتلال الفرنسي، وتعبئة الثوار، وتأمين السلاح،

١. السباعي، فاضل، الزعيم إبراهيم هنانو، ثورته ومحاكمته، مطابع الدار القومية، طبعة عام ١٩٦١م،

٢. انظر كلاًّ من: - الأشرم، ماهر، ابراهيم هنانو، ص٨٢ وما بعدها، بتصرّف. - الزركلي، خير الدين، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، ص٤١، بتصرف. - قوصرة، فايز، الثورة العربية في الشمال السوري: ثورة ابراهيم هنانو، بتصرف.

والإشراف على مختلف الأعمال الثوريّة اللوجستيّة والعسكريّة المباشرة[١].

وقد تمكّن الثوّار من توجيه ضرباتٍ عسكريةٍ قويةٍ آلمت الجانب الفرنسي، في كثيرٍ من مناطق الفرات، أدّت إلى أسر ومقتل كثيرٍ من الضبّاط والجند الفرنسيين. الأمر الذي دفع الفرنسيين لتوسيع المواجهة مع الثوّار قصفًا بالمدافع والطائرات، فتهدّمت بيوت الناس، وقتل الكثير منهم واشتعلت النيران في المزارع والأراضي، وأبيدت الماشية، وكانت الخسائر المادية فادحةً وكبيرةً وثقيلةً جدًا على صدور الأهالي. وعندما اقتنعت القوات الفرنسيّة بأنّ القصف لم يعد يجدي نفعًا لتوريط الأهالي (كحاضنة شعبية) في مواجهة مع أبنائهم من الثوّار، لجأت إلى وسيلةٍ دنيئةٍ فيها كثيرٌ من الخسّة والنذالة حيث هدّدوا باعتقال النساء الثوّار وأمهاتهم وأخواتهم؛ وذلك بهدف الضغط على الثوّار كي يسلّموا أنفسهم للمحتلّ الفرنسي، وعندما وصل الخبر إلى الثوّار وقع عليهم، إلّا أنّ شرف العربي تهون دونه، فخرجوا من مخابئهم، وسلّموا أنفسهم وهم مرفوعو الرأس، فسلّمت والنساء من الغدر المبيت[٢]. ومن ثم جرت محاكمة الثوّار في مدينة حلب، حيث أصدرت المحكمة الفرنسيّة أحكامًا بالإعدام رميًا بالرصاص على كثيرٍ من الثوّار، كما حُكم على الزعيم الثوري عيّاش الحاج وأسرته بالنفي[٣].

المبحثُ الثّالث: النتائج والمآلات العسكريّة والسياسيّة للثورات السوريّة

قسّمت اتفاقية (سايكس بيكو) المنطقة عام ١٩١٦، وألحقتها بالنفوذَين الفرنسي والبريطاني، وكانت سوريا من نصيب فرنسا، ومع بدء دخول قوات الاحتلال الفرنسي البلد رافعةً شعار تخليص المجتمع السوري من براثن تخلّفه، والقيام بمهمّة تحضيره وتمدينه وتطويره، ظنّتْ وتوهّمت أنّ أبناء المجتمع السوري – على اختلاف مللهم وأديانهم ومذاهبهم وتكويناتهم التاريخيّة والاجتماعيّة - سيرحبون بالعسكر الفرنسي ويستقبلونهم بالورود والأحضان، وربما سيفتحون لهم البيوت والمضافات. لكن مع أوّل دخولهم إلى سوريا، لم يكن أمام الناس من خيار سوى المقاومة بكافة أشكالها؛ لأنّ المُحتلَّ يبقى محتلاً، فتفجّرت الثورات في كلّ أنحاء الأرض السوريّة معلنةً بأعلى صوتها رفضها لهذا الاحتلال تحت أيّ مسمّى جاء.

وقد حقّقت تلك الثورات على اختلاف مراحل تفجّرها الزمني كثيرًا من النتائج التي يمكن

١. الشاهين، مازن محمد فايز، تاريخ محافظة دير الزور، ص ٧٥٢ وما بعدها.

٢. انظر: عبد القادر عيّاش، حضارة وادي الفرات - القسم السوري، ص٣٢١.

٣. فتّوح عيسى، عبد القادر العياش الباحث المؤرّخ (١٩١١-١٩٧٤م)، ص١٥٣-١٥٩.

إجمالها في الآتي:

أولًا: مهّدت الطريقَ أمام ولادة تكتلاتٍ سياسيةٍ سوريّة عديدةٍ من أشخاصٍ وطنيين (من مختلف الانتماءات والأطياف الاجتماعيّة والدينيّة السوريّة)، ناضلوا سياسيًّا، ورفعوا شعار الخلاص من الاحتلال، وضرورة إنجاز الاستقلال عن المستعمر الفرنسي. بمعنى أنّ الثورات التي شهرت السلاح، وفجّرت الأرض تحت أقدام المحتلّ الغازي، (وكانت لها نتائج بارزة على صعيد زعزعة سياسة الفرنسيين في سوريا، من حيث إنّهم باتوا على شبه قناعة بأنّ السوريين لن يرضخوا لهم)، أعطت للساسة والسياسيين السوريين زخمًا قويًا ودعمًا حيويًا رفع من منسوب الثقة لديهم في طلب الاستقلال والتحرّر.

ثانيًا: قامت سلطاتُ الاحتلال الفرنسي مرغمةً بتشكيل حياةٍ سياسيةٍ دستوريةٍ، ولو شكلية، حيث تشكّلت أحزابٌ وتنظيماتٌ وجماعاتٌ سياسيةٌ من زعاماتٍ سوريّةٍ محلّية، رفعت أهداف التحرّر والاستقلال، وكانت بالمحصلة انتصارًا للثورة والوعي الوطني على كلّ محاولات فرنسا للتقسيم والإقليمية والطائفية.

ثالثًا: أجبرت تلك الثورات سلطات الاحتلال الفرنسي على إعادة توحيد الوطن السوري، بعدما كانت قد قسّمته إلى دويلات على أسسٍ طائفيّةٍ بحتة، وهي دول دمشق، ودولة حلب، ودولة العلويين، ودولة جبل الدروز. كما أسقطت السياسات الدكتاتورية العسكريّة التي اتبعَتْها السلطات الفرنسيّة الاستعماريّة، والمتمثِّلة في إلغاء الحرّيات، وملاحقة الوطنيين، وإثارة النزعات الطائفيّة، ومحاربة الثقافة والطابع العربي للبلاد، ومحاولة إحلال الثقافة الفرنسيّة، بالإضافة إلى رفضِ سُلُطات الانتداب عَقْدَ اتفاقٍ مع القوى الوطنيّة السورية.

رابعًا: هيّأت الثورات الأرضية المناسبة لزوال الاحتلال الفرنسي، وخروجه نهائيًا من سوريا في العام ١٩٤٦م، بعدما استمرَّ النضال السلمي السياسي لمدة زمنية ليست بالقصيرة.

خامسًا: أبرزت الثوراتُ السورية أنّ السوريين يتمتعون بوعي شعبي فطري يتحسس أخطار التقسيم والإقطاعية والاحتلال الخارجي، ولهذا رأينا أنّ كثيرًا من الناس (من فلّاحين وعمالٍ ومزارعين) انخرطوا عن وعي ومسؤوليةٍ في مسيرة الثورات المسلّحة دونما أدنى تفكيرٍ بعواقب الأمور، وبالنتائج الخطيرة التي قد تترتب على أنفسهم، فالوطن ينادي للحرية، ولا بدّ من تلبية النداء؛ وهذا ما كان.

سادسًا: أبرزت هذه الثورات السوريّة الطبيعة النفسيّة للحكّام الفرنسيين في سورية، والبون الشاسع بين أخلاقياتهم السيئة (في تعجرفهم وتعاليهم على السوريين)، ومبادئ الثورة الفرنسيّة التي قامت على الحريّة والمساواة والعدالة. أي لم يكونوا أوفياء لتلك المبادئ، وهذا كان مثار استغرابٍ حقيقيّ لدى كثيرٍ من السوريين. وكم كان عارًا على فرنسا أنّ عدّة جنرالات فرنسيين - ممّن تعاقبوا على حكم سوريا، وقادوا جيش فرنسا في بعض انتداباتها واحتلالاتها، وهم (دانتز، وهانتزجر، وغاملان، وميتّلهاوزر)- قُدِّموا للمحاكمة العليا في فرنسا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بتهمة الخيانة.

المصادر والمراجع

١. الجندي، أدهم، **تاريخ الثورات السوريّة في عهد الانتداب الفرنسي**، مطبعة الاتّحاد، سوريا/ دمشق، طبعة عام ١٩٦٠م.

٢. الهندي، إحسان، **كفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨-١٩٤٨**، مطابع إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي، لبنان/ بيروت، طبعة عام ١٩٦٢م.

٣. حكمت علي إسماعيل، **نظام الانتداب الفرنسي على سوريا: ١٩٢٠-١٩٢٨/ بحث في تاريخ سوريا الحديث من خلال الوثائق**، دار طلاس للدراسات والنشر، سوريا/ دمشق، طبعة عام ١٩٩٨م.

٤. الحكيم، حسن، **عبد الرحمن الشهبندر، حياته وعصره**، الدار المتّحدة للنشر، لبنان/ بيروت، طبعة عام ١٩٨٥م.

٥. البعيني، حسن أمين، **سلطان باشا الأطرش والثورة السوريّة الكبرى**، الناشر: مؤسسة البيت الدرزي، أنجلترا، لندن، طبعة أولى، عام ٢٠٠٨م.

٦. الزركلي، خير الدين، **قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين**، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، طبعة ١٥، عام ٢٠٠١م.

٧. سلامة عبيد، **الثورة السوريّة الكبرى**، دار الغد، لبنان، بيروت، طبعة١، عام ١٩٧١م.

٨. ستيفن هامسلي لونغريغ، **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ترجمة: بيار عقل، دار الحقيقة، لبنان، بيروت، طبعة بلا تاريخ.

٩. العجلاني، شمس الدين، **وجوه وكلام من بلاد الشام (١٩٢٠-١٩٦٦)م**، مكتبة العلبي، سوريا، دمشق، طبعة عام ٢٠١٠م.

١٠. عمر عبد العزيز عمر، **تاريخُ المَشرق العربي: ١٥١٦-١٩٢٢**، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، طبعة عام ١٩٨٤م.

١١. الشهبندر، عبد الرحمن، **ثورة سوريا الكبرى: أسرارها وعواملها ونتائجها (مذكّرات)**، منشورات دار الجزيرة، الأردن، عمان، عام ١٩٣٥م.

١٢. العطري، عبد الغني، **حديث العبقريات**، دار البشائر، سوريا، دمشق، طبعة عام ٢٠٠٠م.

١٣. عبد اللطيف يونس، **ثورة الشيخ صالح العلي**، الناشر: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، طبعة بلا تاريخ.

١٤. عبد القادر عيّاش، **حضارة وادي الفرات- القسم السوري**، دار الأهالي، سوريا، دمشق، طبعة عام١٩٩٦م.

١٥. قوصرة، فايز، الثورة العربية في الشمال السوري: ثورة إبراهيم هنانو، منشورات الهيئة العامة للكتاب، وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، عام ٢٠٠٨م.

١٦. خوري، فيليب، **سوريا والانتداب الفرنسي**، (باللغة الانكليزية)، جامعة برنستون، الولايات المتحدة الأمريكية، ولاية نيوجرسي، عام ١٩٨٧م.

١٧. السباعي، فاضل، **الزعيم إبراهيم هنانو: ثورته ومحاكمته**، مطابع الدار القومية، طبعة عام ١٩٦١م.

١٨. فتوح عيسى، **عبد القادر العياش الباحث المؤرخ (١٩١١-١٩٧٤م)**، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، العدد٦٤٦، عام ٢٠١٧م.

١٩. السّفرجلاني، محيي الدين، **تاريخ الثورة السوريّة**، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، دمشق، طبعة عام ١٩٦١م.

٢٠. ليندا شيلشر، **دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، دار الجمهورية، سوريا، دمشق، طبعة ١٩٩٨م.

٢١. ليلى بارسونز، **القائد: فوزي القاوقجي والنضال من أجل الاستقلال العربي** (باللغة الإنكليزية)، دار الساقي، لبنان، بيروت، طبعة عام ٢٠١٦م.

٢٢. الصالح، محمد علي، **إدارة الاقتصاد السوري: ١٩١٨-١٩٤٦**، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، لبنان، بيروت، طبعة عام ٢٠٢٠م.

٢٣. الأشرم، ماهر، إبراهيم هنانو، الهيئة العامة للكتاب، وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، طبعة أولى، عام ٢٠١٣م.

٢٤. الشاهين، مازن محمد فايز، **تاريخ محافظة دير الزور**، الناشر: مازن الشاهين، طبعة عام ٢٠٠٨م.

٢٥. كوثراني، وجيه، **السلطة والمجتمع والعمل السياسي العربي أواخر العهد العثماني: وسائط السلطة في**

بلاد الشام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الدوحة، ط١، عام ٢٠١٧م.

٢٦. ـــــــــــــ، **بلاد الشام في مطلع القرن العشرين، السكّان والاقتصاد وفلسطين والمشروع الصهيوني: قراءة في وثائق الدبلوماسية الفرنسية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الدوحة، ط١، عام ٢٠١٣م.

٢٧. الحكيم، يوسف، **سوريا والانتداب الفرنسي**، دار النهار للنشر، لبنان، بيروت، طبعة ثانية، عام ١٩٩١م.

28. *Hannigan, Robert E.* (11 Nov 2016).*the great war and American forign policy, 1914-24. University of Pennsylvania Press*.

٢٩. الموقع الرسمي للأمم المتحدة، ميثاق عصبة الأمم المتحدة عام ١٩١٩م، الرابط:

https://www.ungeneva.org/ar/about/league-of-nations/covenant-

٣٠. موقع أسرة الشيخ صالح العلي على شبكة الانترنت، الرابط:

https://web.archive.org/web/20200108192640/http://salehalali.com/?p=908

٣١. الموسوعة العربية، الرابط: ency/sy.com.ency-arab//:http